

نقد البردة

للشيخ محمد بن الأمين بوخبزة

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة: معلوم أن للبوصيري غلواً قبيحاً في مدائحه ولا سيما الهمزية والبردة.

أما الهمزية فليست تطولها يدي الساعة وفيها عجر وبجر

أما البردة فمن رأى افتتان الناس بها ولا سيما في مصر والشام و المغرب العربي ولا سيما المغرب الأقصى وقد تجاوز شراحها المائة كما عارضها أكثر من هذا العدد ووضع لها الصوفية من الخواص والمنافع ما يثير الضحك والعجب، ووضعت في ذلك كتب فلكل بيت من أبيات البردة خاصية هذا يقرأ للمرض الفلاني وهذا للغنى وهذا لهلاك العدو وهذا للزواج الخ. ولم يظهر من تتبع زلقاته فيها ونبه على فضائحه العقديّة في العصور الأخيرة بعد ظهور من يسمونهم الوهابية الذين حذروا منها ومن صاحبها وقاموا بواجب تغيير المنكر وقد وقفت على كثير من كلامهم في كتبهم في العقيدة وقد أحبت الإشارة إلى بعض ذلك هنا فمن ذلك قوله- البيت الأول:-

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ففي الشطر الثاني من هذا البيت منكر عظيم مستفاد من حديث موضوع وهو: (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك).

وقد نبه على هذا الحديث الذي وضعه الصوفية وأذاعوه وسودوا به كتبهم، شيخنا الألباني في الأول من (سلسلة الأحاديث الضعيفة)، ثم هو قبل ذلك مخالف لقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

ثم قال في بيان تفوق النبي غ على الأنبياء جميعاً-البيت الثاني:-

وكلهم من رسول الله ملتمس غرماً من البحر أورشفاً من القديم

ومعناه أن كل الأنبياء والرسل السابقين قد نالوا وأخذوا من الرسول اللاحق وكيف ذلك؟ الجواب: أن هذا مأخوذ من أولية النور المحمدي، وقد قال ابن العربي الحاتمي: (إن كل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي يأخذ من مشكاة خاتم النبيين). وقال قبله الحلاج:

(إن للنبي نوراً أزلياً قديماً كان قبل أن يوجد العالم، ومنه استمد كل علم وعرفان حيث أمد السابقين من الأنبياء عليه).

وهذا المعنى فتح باب الزندقة لمن أتى بعدهما حتى قال أحمد التجاني الفاسي مدعياً أنه: ترقباً أن يوضع له منبر يوم القيامة في المحشر وينادي مناد أيها الناس هذا الذي كان مُمدكم في الدنيا من أولها إلى النفخ في الصور. وانظر الكلمة وسببها في (الإفادة الأحمدية). للطبيب السفياي.

وقال البوصيري-البيت الثالث-:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ** واحكم بما شئت مدحاً فيه واحكم

وهذا البيت سمعت من كثير من شيوخنا أنه يرفع قهمة الغلو عن البوصيري وقد راجعت بعضهم بأنه يفتح الباب للغلو، وذلك لأن الأمر ليس مقصوراً على ادعاء الألوهية بل هناك من صور الغلو ما وقع فيه الصوفية، وقد قال غ: (لا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ). (رواه البخاري). وهذا مثال من الغلو الصوفي دون دعوى الإلهية وهو زعمهم أنه غ كان يعلم الغيب. وزادوا أنه كان يعلم حتى الخمسة التي استأثر الله بها كما قال: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الآية. وقال عليه الصلاة والسلام: (في خمس لا يعلمهن إلا الله). وليت الأمر وقف عند هذا الحد فقد زعم عبد العزيز بن الصديق الغماري في مقدمة كتابه: (الأربعون العزيرية). بعد أن قرر أن هذا ليس خاصاً بالنبي غ بل كان الأقطاب من أمته يعلمون الخمس أيضاً

-البيت الرابع-.

لو ناسبت قدره آياته عِظْماً أحيى اسمه حين يُدعى دارس الرمم

يعني أن آياته أي: معجزاته أقل وأحط من قدره، ولو كانت تناسبه لكان اسمه إذا دعاه الداعي- يحيى العظام وهي رميم، وهذا غلو قبيح فإن من آياته ومعجزاته غ القرآن العظيم وكيف يحل لمسلم أن يقول: إن القرآن لا يناسب قدر النبي غ، وهذه أسماء الله الحسنى وعلى رأسها اسمه الأعظم إذا دعا بها الداعي لا تحيي دارس الرمم، لأن لذلك موعداً لن تخلفه.

ثم قال-البيت الخامس-:

لا طيب يعدل تراباً مسَّ أعظمه طوبى لمنشيقٍ منه وملتمش

فقد جعل طيب تراب قبره عليه الصلاة والسلام أفضل من جميع الطيوب، حتى طيب تراب الجنان، لأن (لا) لنفي الجنس، وهذا ما حدا ببعضهم إلى التصريح بأن

القبر النبوي أفضل بقعة عند الله فهي أفضل من الكعبة ومن الجنة ومن كل بقعة، بل صرح الرفاعية والنقشبندية إلى أن قبره عليه السلام أفضل من العرش، وهذا في رأيي فضول ما كلفنا به، وقد جعل البوصيري الجنة وهي طوبى لكل متنشق وملثم. وقد علم الناس أن ملوك العصر ورؤساءه وأغلبهم قليل الدين، ومنهم كفر مرتدون فتح لهم آل سعود الحجرة النبوية فتمسحوا بتراب القبر الشريف، وانتشقوه والشموه، وهم أبعد الناس عن حبه وشريعته. ولولا الخروج عن الموضوع لحكينا من أفعالهم وأعمالهم ما يوجب على المسلم أن يبرأ إلى الله منهم، فهل هؤلاء طوبى مجرد الانتشاق والالتصام، ومن الطرائف أنني سمعت بعض مشايخ الصوفية يقرأ البيت: لا طيب يعدل ترباً ضم أنواره لا أعظمه لما يوجه لفظ أعظمه من البلى، وهذا لون آخر، وقد اتفق أئمة السلف الصالح أنه لا يمس قبره غ ولا يُقبَل، حكى الإجماع ابن تيمية في الرد على الأحنائي.

ثم قال-البيت السادس:-

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذم

والذمة العهد ولن يكون لأحد عهد ولا ذمة بمجرد التسمية، وإنما العهد والذمة تكون بالإيمان والطاعة وإلا فإن الملايين من أمته تسموا باسم محمد وفيهم فساق وملاحدة ومجرمون بلا شك، والسبب في نسح هذا البيت أحاديث وردت في فضل التسمية بمحمد وأحمد، والبوصيري جاهل بالحديث، فإن تلك الأحاديث موضوعة لا يصح منها شيء، كما نص عليه المؤلفون في الموضوعات .

ثم قال-البيت السابع:-

ما سامني الدهر ضيماً واستجرتُ به * إلا ونلت جواراً منه لم يُصَمِّم
قد ضم هذا البيت سب الدهر، وهو حرام، لحديث: (لا تسبوا الدهر).
والاستجارة بالنبي غ وهي الاستعاذة، والاستغاثة لا تصرف لمخلوق، ومن فعل فقد
أشرك لقوله: (وإياك نستعين) ولحديث: (وإذا استعنت فاستعن بالله).

ثم قال-البيت الثامن:-

ولا التمسْتُ غنى الدارين من يده * إلا استلَمْتُ التَّدَى من خير مستَلِم

فها هو يطلب غنى الدنيا والآخرة من يده عليه السلام، وهذا مخالف لقوله
تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله). وقوله: (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه).
وأمر غ أن يتبرأ من دعوى علم الغيب، وأن عنده خزائن الله، وأنه ملك، (قل لا
أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما
يوحي إلي).

وقال:-عن البيت التاسع-

أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبةً مبرورةً القَسَم

ففيه كما ترى الحلف بغير الله، وفي الحديث (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ
أَشْرَكَ). رواه أحمد والترمذي، وهذا من الشرك الأصغر إن سلم البوصيري من
الأكبر، ولا ينفع تأويل المتأولين بأن الكلام على حذف مضاف أي: أقسمت برب
القمر، فإن هذا يجري في كل قَسَم، وهذا سخيف.

ثم قال-عن البيت العاشر:-

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي * فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فقد جعل الرسول المدعو لكشف أعظم الشدائد يوم المعاد، وهذا كفر مجرد كما يقول ابن حزم، ودافع عبد الله بن الصديق عن البوصيري بأن مراده طلب الشفاعة، وفاته أنها لا تطلب إلا من الله وحده (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً). وإشاراً للتحدي، فقد اختار هذا البيت في إحدى رسائله الجيبية.

ثم قال-عن البيت الحادي عشر:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مِنْ أَلُوذٍ بِهِ * سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعِمَمِ

وهذا دعاء لغير الله وتصريح بأنه لا مستعاذ له إلا النبي غ والعياذ بالله تعالى، وهذا البيت كسابقه تأوله عبد الله الغماري بأن المراد (بالحادثة العمم): اجتماع الناس في الخشر، ولم لا يكون الحادث العمم هو الموت، وقد قال من تأثر به من المغاربة من الملحون:

الْمُصْطَفَى غِرُّ عَلِيًّا لَيْلَةَ قَبْرِي تُغِيثُنِي ثَكُونٌ مَعَايَا حَضَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

وقال البكري أو ابن وفا من شيوخ البوصيري وهم مصدر تلقيه:

عَجَلٌ يَأْذُهَابِ الَّذِي أَشْتَكِي فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَمَنْ أَسْأَلُ؟

الجواب: (وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ).

وقال محمد الحراق التطواني:

أَمْحَمَدُ إِنِّي بَجَاهِكَ عَائِدٌ * مِمَّا عَرَى جِسْمِي مِنَ الضَّرَاءِ

ولقد دعوتك حين جلت كربتي * فلم أُلْفَ غيرك كاشفاً لبلائي

وهذا كما ترى الغاية في البراءة من التوحيد وتبني الشرك والعياذ بالله.

ثم قال-عن البيت الثاني عشر:-

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

وهذا يصبُّ في معنى التماس الشفاعة من غير الله، وهو مترع المشركين في دعواهم أنهم إنما يعبدون أصنامهم لأنهم يتشفعون بهم إلى الله، والآيات في هذا كثيرة.

ثم قال-عن البيت الثالث عشر:-

فَإِنْ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللُّوْحِ وَالْقَلَمِ

وهذا البيت قمة القمم في الضلال والسقوط، فالشطر الأول يخالف قوله تعالى: (وَإِنَّا لَنَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ الْأُولَى). والرسول كان يعطي الدنيا لمن يستحقها في الحياة

ولا يدخر شيئاً وقد يَحْرِمُ من طلبها لسبب، أما الآخرة فهي لله وسبيل نيلها التوحيد والعمل الصالح بعد فضل الله تعالى.

أما الشطر الثاني فلا دواء له فهو داء عُضال حاول كثير من المتحذلقين والغلاة إيجاد مَخْرَجٍ له ففشلوا فهو في غاية الوضوح، يدرك بأدنى تأمل، ومُفاده باختصار أن علوم الله سبحانه تعالى مما استأثر به وسَطْرَةُ الْقَلَمِ في اللوح المحفوظ، ومنه الغيوب كلها هي بعضُ علوم النبي غ وسواء جعلنا (من) تبعيضية، أو بيانية وهي أخف فإن المآل واحد، ولا شك أن ممدوحه عليه الصلاة والسلام يتبرأ مما تضمنته هذه القصيدة الخبيثة التي تلمس بركتها وتقرأ على الأموات للتخفيف عنهم، وهي إنما تزيدهم رجساً وعذاباً إن كانوا يعلمون ولم يوصوا بتركها ومن غفلة المغاربة وكثيف جهلهم ولاسيما صوفيتهم أنهم يعطون أموالاً من تراث الميت لقرائتها وهي بهذه المثابة. ثم إنني نسيت أن أنبه في أول الحديث إلى أنني وقعت على كتاب للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي المراكشي حول موضوع برودة البوصيري وما تضمنته من البدع والغلو تتبع فيه ما ذكره علماء الدعوة في نجد من ذلك إلا أنه ضخم الكتاب بأشياء خارجة عن الموضوع ولا علاقة له بالبردة والكتاب لم أقرأه وإنما رأيته.